

مُخْتَصَرٌ

حَلِيَّةُ رِطَابِ الْعَلِيمِ

بِقَلَمِ

بَكْرَتِ عَبْدِ اللَّهِ بَوَزْنِيَّةٍ

اِخْتَصَرَهُ

عَلِي خَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفصلُ الأوَّلُ

آدابُ الطالبِ في نفسه

١. العلمُ عبادةٌ:

أصلُ الأصولِ في هذه «الحليّة»، بل ولكلِّ أمرٍ مطلوبٍ علمُك بأنَّ العلمَ عبادةٌ، قالَ بعضُ العلماءِ: «العلمُ صلاةُ السيِّرِ، وعبادةُ القلبِ». وعليه؛ فإنَّ شرطَ العبادةِ :

١ - إخلاصُ النِّيَّةِ لله سبحانه وتعالى، لقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ الآية.

وفي الحديثِ المشهورِ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...». فإنَّ فَقَدَ العلمِ إخلاصُ النِّيَّةِ، انْتَقَلَ من أَفْضَلِ الطاعاتِ إلى أَحَطِّ المخالفاتِ.

فالتَّزَمِ التَّخْلِصَ مما يَشوبُ نِيَّتَكَ في صَدَقِ الطَّلَبِ كحَبِّ الظهورِ، والتفوقِ على الأقرانِ، فإنَّها إذا شَابَتِ النِّيَّةُ أَفْسَدَتْهَا وَذَهَبَتْ بَرَكَتُهُ العلمِ.

وقد قيلَ: «زَلَّةُ العالمِ مَضْرُوبٌ لَهَا الطُّبْلُ». [ولهذا] نَهَى العلماءُ عن «الطُّبُولِيَّاتِ» وهي المسائلُ التي يُرادُ بها الشُّهْرَةُ.

ويُؤَثِّرُ عن الثوريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله: «مَا عَالَجْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نِيَّتِي». وَفَقَّكَ اللهُ لِرُشْدِكَ آمِينَ.

٢- الخصلة الجامعة لخيرى الدنيا والآخرة؛ «محبته الله تعالى ومحبته رسوله ﷺ» وتحقيقها بتمخض المتابعة وقفو الأثر للمعصوم. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾، وبالجملة فهذا أصل هذه «الحلية»، ويقعان منها موقِع التاج من الحلة».

٢- كن على جادة السلف الصالح.

كن سلفياً على الجادة، طريق السلف الصالح من الصحابة ﷺ، فمن بعدهم ممن قفا أثرهم في جميع أبواب الدين، من التوحيد والعبادات ونحوها متميزاً بالتزام آثار رسول الله ﷺ وتوظيف السنن على نفسك وتزك الجدال والمراء وما يجلب الآثام ويضد عن الشرع. فالزم السبيل ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾.

٣- ملازمة خشية الله تعالى :

التحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى: مُحافظاً على شعائر الإسلام وإظهار السنّة ونشرها بالعمل بها والدعوة إليها ذالاً على الله بعلمك وسمتك وعملك. وملاك ذلك خشية الله تعالى في السر والعلن فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، ولهذا قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: «أضلّ العلم خشية الله تعالى». [فالعالم لا يُعدُّ عالمًا إلا إذا كان عاملاً ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله.

[عَنْ] عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَتَفَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ازْتَحَلَ».

٤- دوام المراقبة

التحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن سائراً إلى ربك بين الخوف والرجاء فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر

٥- خفض الجناح وتبذ الخيلاء والكبرياء :

تَحَلَّ بِآدَابِ النَّفْسِ مِنَ الْعَفَافِ وَالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ وَالتَّوَضُّعِ لِلْحَقِّ وَسُكُونِ الطَّائِرِ مِنَ الْوَقَارِ وَالرِّزَانَةِ وَخَفْضِ الْجَنَاحِ مُتَحَمِّلاً ذُلَّ التَّعَلُّمِ لِعِزَّةِ الْعِلْمِ ذَلِيلًا لِلْحَقِّ. فَالزَّمْ -رَحِمَكَ اللهُ- اللُّصُوقَ إِلَى الْأَرْضِ وَالْإِزْرَاءَ عَلَى نَفْسِكَ وَهَضْمَهَا وَمُرَاعَمَتَهَا عِنْدَ الْاسْتِشْرَافِ لِكِبْرِيَاءِ أَوْ غَطْرَسَةٍ أَوْ حُبِّ ظُهُورٍ أَوْ عُجْبٍ ... وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ آفَاتِ الْعِلْمِ الْقَاتِلَةِ لَهُ الْمُدْهَبَةِ لِهَيْبَتِهِ الْمُطْفِئَةِ لِنُورِهِ. وَعَلَيْهِ: فَاحْذَرْ نَوَاقِضَ هَذِهِ الْأَدَابِ.

٦- القناعة والزهادة

التحلي بالقناعة والزهادة، وحقيقه الزهد: «الزهد بالحرام والابتعاد عن حماه، بالكف عن المشبهات وعن التطلع إلى ما في أيدي الناس».

«لو أوصى إنسان لأعقل الناس صرف إلى الزهاد» يُؤَثَّرُ عَنِ الشَّافِعِيِّ.

[و] «الزاهد من يتحرز عن الشبهات والمكروهات في التجارات

وكذلك في سائر المعاملات والجرف».

٧- التحلي بروثق العلم

التَّحْلِي بِ «رَوْنِقِ الْعِلْمِ» حُسْنِ السَّمْتِ، وَالْهَدْيِ الصَّالِحِ، مِنْ دَوَامِ
السُّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَالْخُشُوعِ وَالتَّوَاضُّعِ وَلِزُومِ الْمَحَجَّةِ بِعِمَارَةِ الظَّاهِرِ
والباطنِ وَالتَّحْلِي عَنْ نَوَاقِضِهَا.

وعن ابن سيرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانُوا يَتَعَلَّمُونَ الْهَدْيَ كَمَا يَتَعَلَّمُونَ
الْعِلْمَ».

«[وَاجْتَنَبِ] اللَّعِبَ، وَالْعَبَثَ، وَالتَّبَدُّلَ فِي الْمَجَالِسِ بِالسُّخْفِ
وَالضَّحِكِ وَالْقَهْمَةِ وَكَثْرَةِ التَّنَادُرِ وَإِدْمَانِ الْمِرَاحِ وَالْإِكْثَارِ مِنْهُ».

فَتَجَنَّبْ هَاتِيكَ السَّقَطَاتِ فِي مُجَالَسَتِكَ وَمُحَادَثَتِكَ. وَبَعْضُ مَنْ
يَجْهَلُ يَظُنُّ أَنَّ التَّبَسُّطَ فِي هَذَا أَرْيَحِيَّةٌ .

٨- تَحَلَّ بِالمُرُوءَةِ

التَّحْلِي بِ «المُرُوءَةِ» وَمَا يَحْوِلُ إِلَيْهَا، مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَطَلَاقَةِ
الْوَجْهِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ وَتَحْمُلِ النَّاسِ وَالْأَنْفَةِ وَالْعِزَّةِ وَالشَّهَامَةِ وَالْحَمِيَّةِ.
وَعَلَيْهِ فَتَنْكُبُ «خَوَارِمِ المُرُوءَةِ» فِي طَبَعِ أَوْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

٩- التَّمَتُّعُ بِخِصَالِ الرِّجُولَةِ

تَمَتَّعْ بِخِصَالِ الرِّجُولَةِ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَشِدَّةِ الْبَأْسِ فِي الْحَقِّ وَمَكَارِمِ
الْأَخْلَاقِ وَالبَدْلِ فِي سَبِيلِ الْمَعْرُوفِ حَتَّى تَنْقَطِعَ دُونَكَ آمَالُ الرِّجَالِ .
وَاحْذَرْ نَوَاقِضِهَا.

١٠- هَجْرُ التَّرَفِّهِ

لا تَسْتَرْسِلْ فِي «التَّنْعَمِ وَالرَّفَاهِيَةِ»؛ فَإِنَّ «البَدَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ»

قال عمر رضي الله عنه: «وإياكم والتنعم، واخشوشنوا...».

وعليه فازور عن زيف الحضارة فإنه يؤنث الطباع ويؤذي الأعصاب
ويقتدك بحيط الأوهام [ممًا] ليست سمًا صالحًا والحلية في الظاهر
كاللباس عنوان على انتماء الشخص بل تحديد له؟! [ف] يعبر لغيرك عن
تقويمك في الانتماء والتكوين والذوق، فخذ من اللباس ما يزيدك ولا
يشينك ولا يجعل فيك مقالًا لقائل ولا لمرًا للامير.

والناس كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض. فإياك ثم
إياك من لباس التصابي، [و]الإفرنجي.

١١ - الإعراض عن مجالس اللغو

لا تطأ بساط من يغشون في ناديهم المنكر، ويهتكون أستار الأدب
مُتَعَابِيًا عن ذلك، فإن فعلت ذلك فإن جنائتك على العلم وأهله عظيمة.

١٢ - الإعراض عن الهيشات

التصون من اللغو والهيشات، فإن الغلط تحت اللغو، وهذا ينافي
أدب الطلب.

١٣ - التحلي بالرفق

التزم الرفق في القول، مجتنبًا الكلمة الجافية فإن الخطاب اللين
يتألف النفوس الناشرة. وأدلة الكتاب والسنة في هذا متكاثرة.

١٤ - التأمُّلُ

التَّحَلِّيُّ بالتأمُّلِ، قِيلَ: «تَأْمَلُ تُدْرِكُ»،

فَتَأْمَلُ: بِمَاذَا تَتَكَلَّمُ؟ وَمَا هِيَ عَائِدَتُهُ؟ وَتَحَرَّزُ فِي الْعِبَارَةِ وَالْأَدَاءِ،
وَتَأْمَلُ عِنْدَ الْمَذَاكِرَةِ، وَتَأْمَلُ عِنْدَ سُؤَالِ السَّائِلِ [كَي] تَفْهَمُ [ه] عَلَى وَجْهِهِ؟
وَهَكَذَا .

١٥ - الثَّبَاتُ وَالتَّثْبُتُ :

تَحَلَّ بِالثَّبَاتِ وَالتَّثْبُتِ لَا سِيَّمَا فِي الْمُلِمَّاتِ وَالْمُهَمَّاتِ وَمِنْهُ : الصَّبْرُ
وَالثَّبَاتُ فِي التَّلَقِّيِّ وَطَيِّ السَّاعَاتِ فِي الطَّلَبِ عَلَى الْأَشْيَاخِ، فَإِنَّ «مَنْ ثَبَّتَ
نَبَتَ».



الفصلُ الثاني كيفيةُ الطَلْبِ والتَلْقَى

١٦ - كيفيةُ الطَلْبِ ومَراتبُهُ :

«مَنْ لَمْ يَثْبُتِ الْأَصُولَ، حُرِمَ الْوُصُولَ»، و«مَنْ رَامَ الْعِلْمَ جُمْلَةً، ذَهَبَ عَنْهُ جُمْلَةً»، و«ازدحامُ الْعِلْمِ فِي السَّمْعِ مَضَلَّةُ الْفَهْمِ». وعليه فلا بُدَّ من التَّأصيلِ والتَّأسيسِ لكلِّ فَنٍّ تَطْلُبُهُ، بَضْبُطِ أَضْلِهِ ومُخْتَصَرِهِ على شيخٍ مُثَقِّنٍ، لا بالتحصيلِ الذاتيِّ وَحْدَهُ ؛ وأخذًا الطَلْبَ بالتدرُّجِ. قال اللهُ تعالى: [الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ]، فأمامك أمورٌ لا بُدَّ من مُراعاتِها في كلِّ فَنٍّ تَطْلُبُهُ :

- حَفْظُ مُخْتَصَرٍ فِيهِ .
- ضَبْطُهُ على شيخٍ مُثَقِّنٍ .
- عَدَمُ الاِشْتِغَالِ بِالْمُطَوَّلَاتِ وَتَفَارِيقِ الْمَصْتَنَفَاتِ قَبْلَ الضَّبْطِ وَالِإِتْقَانِ لِأَضْلِهِ .

- لا تَنْتَقِلُ من مُخْتَصَرٍ إلى آخَرَ بلا مُوجِبٍ، فهذا من بابِ الضَّجَرِ .
- اقْتِنَاصُ الْفَوَائِدِ وَالضُّوَابِطِ الْعِلْمِيَّةِ .
- جَمْعُ النَّفْسِ لِلطَّلْبِ وَالتَّرْقِي فِيهِ، والاهتمامُ وَالتَحَرُّقُ لِلتَّحْصِيلِ وَالبُلُوغِ إلى ما فوقه حتى تَفِيضَ إلى الْمُطَوَّلَاتِ بِسَابِلَةٍ مُوثَقَةٍ .

أَمَّا الْخَلْطُ فِي التَّعْلِيمِ بَيْنَ عِلْمَيْنِ فَأَكْثَرُ؛ فَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ
الْمُتَعَلِّمِينَ فِي الْفَهْمِ وَالنَّشَاطِ .

وقد كان الطَّلَبُ فِي قُطْرِنَا - [لأن] الْمُخْتَصِرَاتِ فَالْمُطَوَّلَاتِ الَّتِي
يُؤَسَّسُ عَلَيْهِ الطَّلَبُ تَخْتَلِفُ غَالِبًا مِنْ قُطْرٍ إِلَى قُطْرٍ - بَعْدَ مَرَحَلَةِ الْكُتَابِ
وَالْأَخْذِ بِحَفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَمُرُّ بِمَرَاكِلَ ثَلَاثٍ لَدَى الْمَشَايخِ فِي دُرُوسِ
الْمَسَاجِدِ : لِلْمَبْتَدِئِينَ ثُمَّ الْمُتَوَسِّطِينَ، ثُمَّ الْمُتَمَكِّنِينَ . [وَلِكُلِّ مَرَحَلَةٍ
يَخْتَارُونَ لَهُمْ مِنَ الْكُتُبِ مَا يُنَاسِبُهُمْ].
وكانوا مع ذلك يأخذون بجزء المطوَّلَاتِ .

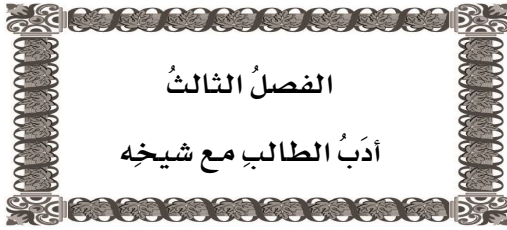
قَالَ بَعْضُهُمْ : «يَحْتَاجُ صَاحِبُ الْحَدِيثِ إِلَى خَمْسِ، فَإِنْ عُدِمَتْ
وَاحِدَةٌ فَهِيَ نَقْصٌ : يَحْتَاجُ إِلَى عَقْلِ جَيِّدٍ، وَدِينٍ، وَضَبْطٍ، وَحَدَاقَةٍ
بِالصَّنَاعَةِ مَعَ أَمَانَةٍ تُعْرَفُ مِنْهُ» .

١٧ - تَلَقَّى الْعِلْمَ عَنِ الْأَشْيَاخِ :

الْأَصْلُ فِي الطَّلَبِ أَنْ يَكُونَ بِطَرِيقِ التَّلْقِينِ وَالتَّلْقِي عَنِ الْأَسَاتِيدِ
وَالْمُتَأَفَّنَةِ لِلْأَشْيَاخِ، وَالْأَخْذِ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ لَا مِنَ الصُّحُفِ وَبُطُونِ
الْكِتَابِ وَالْأَوَّلُ مِنْ بَابِ [ال]أَخْذِ عَنِ النَّاطِقِ، وَهُوَ الْمُعَلِّمُ، أَمَّا الثَّانِي عَنْ
الْكِتَابِ، فَهُوَ جَمَادٌ .

وَقَدْ قِيلَ : «مَنْ دَخَلَ فِي الْعِلْمِ وَحَدَهُ، خَرَجَ وَحَدَهُ»، إِذِ الْعِلْمُ صَنْعَةٌ،
وَكَلُّ صَنْعَةٍ تَحْتَاجُ إِلَى صَانِعٍ، فَلَا بُدَّ إِذَنْ لَتَعْلَمُهَا مِنْ مُعَلِّمِهَا الْحَادِقِ .

وهذا يَكَادُ يَكُونُ مَحَلَّ إجماعِ كلمةٍ من أهل العلم
يقول الأوزاعي: «كان هذا العِلْمُ كَرِيمًا يَتَلَقَّاهُ الرِّجَالُ بَيْنَهُمْ فَلَمَّا
دَخَلَ فِي الكُتُبِ؛ دَخَلَ فِيهِ غَيْرُ أَهْلِهِ».
ولبعضهم: مَنْ لَمْ يُشَافِهِ عَالِمًا بِأُصُولِهِ * فَيَقِينُهُ فِي المُشْكِلَاتِ ظُنُونٌ.



١٨ - رعاية حُرْمَةِ الشَّيْخِ :

بما أَنَّ العِلْمَ لَا يُؤْخَذُ ابتداءً من الكُتُبِ بل لا بُدَّ من شَيْخٍ تُتَقَنَّ عَلَيْهِ
مفاتيحِ الطَّلَبِ؛ لتَأْمَنَ من العِثَارِ والرَّزْلِ؛ فعليك إِذْنٌ بالتَّحَلِّي بِرعاية حُرْمَتِهِ؛
[ف]بِقَدْرِهَا يَكُونُ النِّجَاحُ والفلاحُ، وبِقَدْرِ الفُؤْتِ يَكُونُ من عَلاماتِ
الإخْفَاقِ. فليكنْ شَيْخُكَ مَحَلَّ إِجْلالٍ مِنْكَ وإِكْرامٍ وتقديرٍ وتَلَطُّفٍ، فَخُذْ
بِمَجَامِعِ الأَدابِ مع شَيْخِكَ فِي جُلوسِكَ مَعَهُ، والتَّحَدُّثِ إِلَيْهِ، وَحَسَنِ
السُّؤالِ والاسْتِماعِ، وَحُسْنِ الأَدَبِ فِي تَصْفُحِ الكِتابِ أَمامَهُ ومَعَ الكِتابِ
وَتَرْكِ التَّطَاوُلِ والمِماراةِ أَمامَهُ، وَعَدَمِ التَّقَدُّمِ عَلَيْهِ بِكلامٍ أو مَسِيرٍ أو إِكْثارِ
الكلامِ عِنْدَهُ، أو مُداخَلَتِهِ فِي حَدِيثِهِ وَدَرْسِهِ بِكلامٍ مِنْكَ، أو الإِلاحاحِ عَلَيْهِ

في جوابٍ؛ متَجَبِّيًا الإِكْتَارَ من السُّؤالِ، لا سِيَّما مع شُهودِ المَلَأِ، فَإِنَّ هذا يُوجِبُ لك العُرُورَ وله المَلَلُ .

ولا تُنادِيهِ بِاسْمِهِ مُجَرَّدًا، أو مع لَقَبِهِ كقولك: يا شيخَ فلان! بل قل: يا شيخِي! أو يا شَيْخَنَا! فلا تُسَمِّهِ؛ فَإِنَّه أَرْفَعُ في الأَدَبِ، ولا تُخاطِبُهُ بِتاءِ الخِطابِ، أو تُنادِيهِ من بُعْدٍ من غيرِ اضطرارٍ.

وكما لا يَلِيْقُ أن تقولَ لوالِدِكَ ذي الأُبُوَّةِ الطَيِّبَةِ : «يا فلانُ» أو: «يا وَالِدِي فلان» فلا يَجْمَلُ بك مع شيخِكَ .

والتَزَمْ تَوْقِيرَ المَجْلِسِ وإظهارَ السرورِ من الدَّرْسِ والإفادَةِ به: وإذا بدا لك خطأً من الشيخِ، أو وَهَمٌ فلا يُسْقِطُهُ ذلكَ من عَيْنِكَ فَإِنَّه سَبَبٌ لِحُزْمَانِكَ من عِلْمِهِ، وَمَنْ ذا الذي يَنْجُو من الخِطَأِ سَالِمًا؟

واحذَرْ أن تُمارِسَ معه ما يُضَجِرُّه ومنه ما يُسَمِّيهِ المُؤَلِّدُونَ: «حربِ الأعصابِ» بمعنى: امتحانِ الشيخِ على القُدرةِ العِلْمِيَّةِ والتَّحْمُلِ.

وإذا بدا لك الانتقالُ إلى شيخٍ آخَرَ؛ فاستأذِنه بذلك؛ فَإِنَّه أَدْعَى لِحُزْمَتِهِ وأَمْلِكُ لِقَلْبِهِ في مَحَبَّتِكَ والعَطْفِ عَلَيْكَ... إلخ.
تَنْبِيهٌ مُهِمٌّ:

أَعِيذُكَ باللهِ من صَنِيعِ الأَعاجِمِ، والطَّرِيقَةِ، والمُبْتَدِعَةِ الخَلْفِيَّةِ، من الخُضُوعِ الخَارِجِ عن آدابِ الشُّرْعِ.

القدوةُ بصالح أخلاقه وكريم شمائله، أمَّا التلقِّي والتلقينُ، فهو ربحٌ زائدٌ، لكن لا يأخذُك الاندفاعُ في مَحَبَّةِ شيخِكَ فتَقَعُ في الشناعةِ من حيث لا تَدْرِي وكلُّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ يَدْرِي، فلا تُقَلِّدْهُ بصوتٍ ونغمَةٍ، ولا مِشْيَةً وحركةً وهيئَةً؛ فإنه إنما صارَ شَيْخًا جليلاً بتلك، فلا تَسْقُطُ أنتِ بالتَّبَعِيَّةِ له في هذه.

٢٠- نشاطُ الشيخِ في دَرَسِهِ :

«حَقُّ الفائدةِ أن لا تُسَاقَ إلا إلى مُبْتَغِيهَا، ولا تُعْرَضَ إلا على الراغبِ فيها، فإذا رَأَى المُحَدِّثُ بعضَ الفُتُورِ من المُسْتَمِعِ فليسكُتُ، فإنَّ بعضَ الأُدبَاءِ قالَ: نَشِيطُ القائلِ على قَدْرِ فَهْمِ المُسْتَمِعِ .. قالَ عبدُ اللهِ: حَدِثِ القَوْمَ ما رَمَقوكَ بأبصارِهِم، فإذا رأيتَ منهم فَتْرَةً فأنزِعْ». ولهذا فاحذِرْ أن تكونَ وسيلةَ قَطْعِ لِعِلْمِهِ بالكسَلِ والفُتُورِ والاتِّكاءِ وانصرافِ الذهنِ وفُتُورِهِ.

٢١- الكِتابَةُ عن الشيخِ حالَ الدرسِ والمذاكَرَةِ :

وهي تَخْتَلِفُ من شيخٍ إلى آخَرَ فَافْهَمُ .

ولهذا أَدَبٌ وَشَرْطٌ:

أمَّا الأَدَبُ؛ فِينبَغِي لَكَ أن تُعَلِّمَ شَيْخَكَ أنكَ سَتَكْتُبُ أو كَتَبْتَ ما سَمِعْتَهُ مُذَاكَرَةً .

وَأَمَّا الشَّرْطُ؛ فَتُشِيرُ إلى أنكَ كَتَبْتَهُ من سَماعِهِ من دَرَسِهِ .

٢٢- التلقّي عن المُبتدِع :

أَحْذَرُ «أَبَا الْجَهْلِ» الْمُبْتَدِعَ، الَّذِي مَسَّهُ زَيْغُ الْعَقِيدَةِ ؛ وَغَشِيئَتُهُ سُحْبُ
الْخُرَافَةِ ؛ يُحَكِّمُ الْهَوَى، وَيَعْدِلُ عَنِ النَّصِّ، وَهَلْ الْعَقْلُ إِلَّا فِي النَّصِّ !؟
وَيَسْتَمْسِكُ بِالضَّعِيفِ وَيَبْعُدُ عَنِ الصَّحِيحِ، وَيُقَالُ لَهُمْ أَيْضًا : «أَهْلُ
الشُّبُهَاتِ» «وَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ».

وعن مالكٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ : «لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ عَنْ أَرْبَعَةٍ : سَفِيهَةٌ
يُغْلِنُ السَّفَهَةَ وَإِنْ كَانَ أَرْوَى النَّاسِ، وَصَاحِبٌ بِدْعَةٍ يَدْعُو إِلَى هَوَاهُ، وَمَنْ
يَكْذِبُ فِي حَدِيثِ النَّاسِ، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَتَّهُمُهُ فِي الْحَدِيثِ، وَصَالِحٌ عَابِدٌ
فَاضِلٌ إِذَا كَانَ لَا يَحْفَظُ مَا يُحَدِّثُ بِهِ» .

وأخبارُ السَّلَفِ مُتَكَثِرَةٌ فِي الثُّفْرَةِ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ وَمُنَابَذَةِ الْمُبْتَدِعَةِ
وَهَجْرِهِمُ وَالِابْتِعَادِ عَنْهُمْ كَمَا يَتَّبَعُ السَّلِيمُ عَنِ الْأَجْرِبِ الْمَرِيضِ، حَدَرًا
مِنْ شَرِّهِمْ وَتَحْجِيمًا لِانْتِشَارِ بَدْعِهِمْ وَكُثْرًا لِنَفْسِهِمْ حَتَّى تَضَعُفَ عَنِ
نَشْرِ الْبِدْعِ، وَلِأَنَّ فِي مُعَاشَرَةِ الشُّنَيْيِّ لِلْمُبْتَدِعِ تَرْكِيَةً لَهُ لَدَى الْمُبْتَدِئِ
وَالْعَامِيِّ - وَالْعَامِيُّ مُشْتَقٌّ مِنَ الْعَمَى، فَهُوَ بِيَدٍ مَنْ يَقُودُهُ غَالِبًا - .

فِيهَا أَيُّهَا الطَّالِبُ! كُنْ سَلَفِيًّا عَلَى الْجَادَّةِ، إِذَا كُنْتَ فِي السَّعَةِ وَالِاخْتِيَارِ؛
فَلَا تَأْخُذْ عَنِ مُبْتَدِعٍ: رَافِضِيٍّ أَوْ خَارِجِيٍّ أَوْ مُزَجِّيٍّ أَوْ قَدْرِيٍّ أَوْ قُبُورِيٍّ...
وَهَكَذَا؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ إِلَّا بِهَجْرِ الْمُبْتَدِعَةِ وَبَدْعِهِمْ. وَاحْذَرِهِمْ
أَنْ يَفْتِنُوكَ، فَوَاللَّهِ لَا يَصْلُحُ الْأَعْمَى لِقِيَادَةِ الْعِمِيَانِ وَإِرْشَادِهِمْ .

أَمَّا الْأَخْذُ عَنْ عُلَمَاءِ السَّنَةِ فَالْعَقُّ الْعَسَلُ وَلَا تَسَلْ .
 وَفَقَّكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ ؛ لِتَنْهَلَ مِنْ مِيرَاثِ التُّبُوَّةِ صَافِيًا، وَإِلَّا، فَلْيَبْكُ عَلَى
 الدِّينِ مَنْ كَانَ بَاكِيًا .

أَمَّا إِنْ كُنْتَ فِي دِرَاسَةِ نِظَامِيَّةٍ لَا خِيَارَ لَكَ، فَاحْذَرْ مِنْهُ، وَ«اجْنِ الثِّمَارَ
 وَأَلْقِ الخَشْبَةَ فِي النَّارِ».

وَالأَمْرُ فِي هَجْرِ المبتدِعِ يَتَبَيَّنِي عَلَى مُرَاعَاةِ المصَالِحِ وَتَكْثِيرِهَا وَدَفْعِ
 المَفَاسِدِ وَتَقْلِيلِهَا، وَعَلَى هَذَا تَنْزَلُ المَشْرُوعِيَّةُ مِنْ عَدَمِهَا.
 فَإِذَا اشْتَدَّ سَاعِدُكَ فِي العِلْمِ، فَاقْمَعْ المبتدِعَ وَبِدَعْتَهُ بِلِسَانِ الحُجَّةِ
 وَالبَيَانِ، وَالسَّلَامُ .



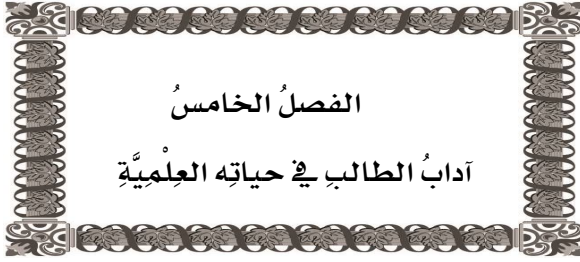
الفصل الرابع أدبُ الزمالة

٢٣- احذرَ قَرِينِ السَّوِّءِ :

كما أنَّ العِرْقَ دَسَّاسٌ فَإِنَّ «أَدَبَ السَّوِّءِ دَسَّاسٌ» إِذِ الطَّبِيعَةُ نَقَّالَةٌ،
وَالطَّبَّاعُ سَرَّاقَةٌ، وَالنَّاسُ كَأَسْرَابِ الْقَطَا مَجْبُولُونَ عَلَى تَشْبُهِهِ بَعْضُهُمْ
بِبَعْضٍ، فَاحْذَرِ مُعَاشِرَةَ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ الْعَطْبُ، «وَالدَّفْعُ أَسْهَلُ مِنْ
الرَّفْعِ».

وَعَلَيْهِ فَتَخَيَّرِ لِلزَّمَالَةِ وَالصَّدَاقَةِ مَنْ يُعِينُكَ عَلَى مَطْلَبِكَ، وَيُقَرِّبُكَ إِلَى
رَبِّكَ، وَيُؤَافِقُكَ عَلَى شَرِيفِ عَرَضِكَ وَمَقْصِدِكَ.

[فَعَلَيْكَ بِصَدِيقِ الْفَضِيلَةِ] وَهُوَ الَّذِي بَاعَثُ صَدَاقَتَهُ تَبَادُلُ الْاِعْتِقَادِ فِي
رُسُوحِ الْفَضَائِلِ لَدَى كُلِّ مِنْهُمَا. وَهُوَ «عُمْلَةٌ صَعْبَةٌ» يَعْزُ الْخُصُولُ عَلَيْهَا.
وَمِنْ لَطِيفِ مَا يُقَيِّدُ قَوْلَ بَعْضِهِمْ : «الْعُزْلَةُ مِنْ غَيْرِ عَيْنِ الْعِلْمِ زَلَّةٌ،
وَمِنْ غَيْرِ زَايِ الزُّهْدِ عِلَّةٌ»



الفصل الخامس

آداب الطالب في حياته العلمية

٢٤ - كِبْرُ الْهَمَّةِ فِي الْعِلْمِ :

من سجايا الإسلام التَّحَلِّي بِكِبْرِ الْهَمَّةِ؛ مَرَكَزِ السَّالِبِ وَالْمَوْجِبِ فِي شَخْصِكَ، الرَّقِيبِ عَلَى جَوَارِحِكَ، كِبْرُ الْهَمَّةِ يَجْلُبُ لَكَ بِإِذْنِ اللَّهِ خَيْرًا غَيْرَ مَعْدُودٍ، لَتَرْقَى إِلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ، فَلَا يَرَاكَ النَّاسُ وَاقِفًا إِلَّا عَلَى أَبْوَابِ الْفَضَائِلِ وَلَا بَاسِطًا يَدَيْكَ إِلَّا لِمِهْمَّاتِ الْأُمُورِ .

والتَّحَلِّي بِهَا يَسْلُبُ مِنْكَ سَفَاسِفَ الْأَمَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَيَجْتَثُّ مِنْكَ شَجَرَةَ الدَّلِّ وَالْهَوَانِ، فَكَيْبُرُ الْهَمَّةِ ثَابِتُ الْجَأْشِ، وَلَا تُزْهِبُهُ الْمَوَاقِفُ، وَفَاقِدُهَا جَبَانٌ رَعِيدٌ، تُعْلِقُ فَمَهُ الْفَهَاهَةُ.

فِي طَالِبِ الْعِلْمِ ! اذْهَبْ لِنَفْسِكَ كِبْرَ الْهَمَّةِ الَّذِي هُوَ حِلْيَةُ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَلَا تَتَّقَلَّتْ مِنْهُ.

٢٥ - النَّهْمَةُ فِي الطَّلَبِ :

[يُرْوَى عَنْ] عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام : «قِيمَةُ كُلِّ امْرِيٍّ مَا يُحْسِنُهُ» وَقَدْ

قِيلَ: لَيْسَ كَلِمَةً أَحْضَصَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ مِنْهَا.

فعليك بالاستكثار من ميراث النبي ﷺ، وإنْذِلْ الوُسْعَ فِي الطَّلَبِ
والتَّحْصِيلِ وَالتَّدْقِيقِ، وَمَهْمَا بَلَغْتَ فِي العِلْمِ ؛ فَتَذَكَّرْ [المَقُولَةُ الصَّحِيحَةُ]:
«كَمْ تَرَكَ الأوَّلُ لِلاَخِرِ».

٢٦- الرُّحْلَةُ لِلطَّلَبِ :

«مَنْ لَمْ يَكُنْ رُحْلَةً لَنْ يَكُونَ رُحْلَةً» فَمَنْ لَمْ يَزْحَلْ فِي طَلَبِ العِلْمِ
لِلْبَحْثِ عَنِ الشُّيُوخِ، وَالسِّيَاحَةِ فِي الأَخْذِ عَنْهُمْ؛ فَيَبْعُدُ تَأَهُلُهُ لِزِحَالِ إِلَيْهِ؛
لَأَنَّ هَؤُلَاءِ العُلَمَاءِ الذِّينَ مَضَى وَقْتُ فِي تَعْلُمِهِمْ وَتَعْلِيمِهِمْ، وَالتَّلَقِّيِ
عَنْهُمْ: لَدَيْهِمْ مِنَ التَّحْرِيرَاتِ وَالضُّبُطِ وَالنِّكَاتِ العِلْمِيَّةِ، وَالتَّجَارِبِ مَا يَعَزُّ
الْوُقُوفُ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى نِظَائِرِهِ فِي بَطُونِ الأَسْفَارِ.

٢٧- حِفْظُ العِلْمِ كِتَابَةً:

إِنْذِلْ أَلْجُهْدَ فِي حِفْظِ العِلْمِ «حِفْظُ كِتَابٍ»؛ لِأَنَّ تَقْيِيدَ العِلْمِ بِالكِتَابَةِ
أَمَانٌ مِنَ الضِّيَاعِ، وَقَصْرٌ لِمَسَافَةِ البَحْثِ عِنْدَ الاِحتِياجِ، لَا سِيَّمًا فِي مَسَائِلِ
العِلْمِ الَّتِي تَكُونُ فِي غَيْرِ مَطَانِنِهَا، وَمَنْ أَجَلَّ فَوَائِدِهِ أَنَّهُ عِنْدَ كِبَرِ السِّنِّ
وَضَعْفِ القُوَى يَكُونُ لَدَيْكَ مَادَّةٌ تَسْتَجِرُّ مِنْهَا مَادَّةٌ تَكْتُبُ فِيهَا بِلَا عَنَاءٍ فِي
البَحْثِ وَالتَّقْصِي .

ولذا؛ فَاجْعَلْ لَكَ «كُنَاشًا» أَوْ «مُذَكَّرَةً» لِتَقْيِيدِ الفَوَائِدِ وَالفَرَايِدِ
وَالأَبْحَاطِ المُنْثَوْرَةِ فِي غَيْرِ مَطَانِنِهَا، وَإِنْ اسْتَعْمَلْتَ غُلَافَ الكِتَابِ لِتَقْيِيدِ
مَا فِيهِ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَحَسَنٌ، ثُمَّ تَنَقَّلْ مَا يَجْتَمِعُ لَكَ بَعْدُ فِي مُذَكَّرَةٍ ؛ مُرْتَبًا لَهُ

على الموضوعات مُقَيَّدًا رَأْسَ الْمَسْأَلَةِ، واسمَ الْكِتَابِ، ورقمَ الصَّفْحَةِ
والمجلدِ، ثم اكتب على ما قَيَّدْتَهُ : «تُقِلَّ»، كما تكتبُ: «بَلَّغْ صَفْحَةَ كَذَا»
فيما وَصَلْتَ إِلَيْهِ.

وللعلماءِ مَوْلَفَاتٌ عَدَّةٌ فِي هَذَا.

وعليه فَتَقْيِدِ الْعِلْمَ بِالْكِتَابِ لَا سِيَّمَا بِدَائِعِ الْفَوَائِدِ فِي غَيْرِ مَظَانِّهَا،
وَتَسْمَعُهَا تَخْشَى فَوَاتِهَا قَالَ الشَّعْبِيُّ : «إِذَا سَمِعْتَ شَيْئًا ؛ فَارْتَبِئْهُ وَلَوْ
فِي الْحَائِطِ».

٢٨ - حِفْظُ الرَّعَايَةِ

ابْدُلِ الْوُسْعَ فِي حِفْظِ الْعِلْمِ «حِفْظَ رِعَايَةٍ» بِالْعَمَلِ وَالِاتِّبَاعِ، «يَجِبُ
عَلَى طَالِبِ الْحَدِيثِ أَنْ يُخْلِصَ نَيْتَهُ فِي طَلْبِهِ، وَيَكُونَ قَصْدُهُ وَجْهَ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ، وَلِيُحْذَرَ أَنْ يَجْعَلَهُ سَبِيلًا إِلَى نَيْلِ الْأَعْرَاضِ»، وَطَرِيقًا إِلَى أَخْذِ
الْأَعْرَاضِ ؛ فَقَدْ جَاءَ الْوَعِيدُ لِمَنْ ابْتَغَى ذَلِكَ بِعِلْمِهِ
وَلِيَتَّقِيَ الْمَفَاخِرَةَ وَالْمُبَاهَاةَ بِهِ. وَلِيَجْعَلَ حِفْظَهُ لِلْحَدِيثِ حِفْظَ رِعَايَةٍ لَا
حِفْظَ رِوَايَةٍ.

وَيَنْبَغِي لَطَالِبِ الْحَدِيثِ أَنْ يَتَمَيَّزَ فِي عَامَّةِ أُمُورِهِ عَنْ طَرَائِقِ الْعَوَامِّ
بِاسْتِمْعَالِ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَفْكَرَنَهُ، وَتَوْظِيفِ الشُّنَنِ عَلَى نَفْسِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ
تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ اهـ .

٢٩ - تَعَاهُدُ الْمُحْفُوظَاتِ:

تَعَاهَدُ عِلْمَكَ مِنْ وَقْتٍ إِلَى آخَرَ؛ فَإِنَّ عَدَمَ التَّعَاهُدِ عُنْوَانُ الذَّهَابِ
لِلْعِلْمِ مَهْمَا كَانَ.

«وَإِذَا كَانَ الْقُرْآنُ الْمُبَيَّنُّ لِلذِّكْرِ يَذْهَبُ إِنْ لَمْ يُتَّعَاهَدْ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِغَيْرِهِ
مِنَ الْعُلُومِ الْمَعْهُودَةِ؟! وَخَيْرُ الْعُلُومِ مَا ضُبِطَ أَصْلُهُ، وَاسْتُذْكَرَ فَرْعُهُ، وَقَادَ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَدَلَّ عَلَى مَا يَرْضَاهُ» اهـ .

٣٠- التَّفَقُّهُ بِتَخْرِيجِ الْفُرُوعِ عَلَى الْأُصُولِ :

مِنْ وَرَاءِ الْفِقْهِ: التَّفَقُّهُ، وَمُعْتَمَلُهُ هُوَ الَّذِي يُعَلِّقُ الْأَحْكَامَ بِمَدَارِكِهَا
الشَّرْعِيَّةِ .

وَاعْلَمْ أَرَشَدَكَ اللَّهُ أَنْ بَيْنَ يَدَيِ التَّفَقُّهِ: «التَّفَكُّرُ» فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ دَعَا عِبَادَهُ
فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِهِ إِلَى التَّحَرُّكِ بِإِجَالَةِ النَّظْرِ الْعَمِيقِ فِي «التَّفَكُّرِ» فِي مَا
حَوْلَهُ؛ فَتَحًا لِلقُوَى الْعَقْلِيَّةِ عَلَى مِصْرَاعَيْهَا، وَحَتَّى يَصِلَ إِلَى تَقْوِيَةِ الْإِيمَانِ،
وَتَعْمِيقِ الْأَحْكَامِ وَالْإِنْتِصَارِ الْعِلْمِيِّ. فَ«التَّفَقُّهُ» حَصِيلَةٌ وَإِنْتِجَ «التَّفَكُّرِ».

فِيَا أَيُّهَا الطَّالِبُ! تَحَلَّ بِالنَّظْرِ وَالتَّفَكُّرِ، وَالْفِقْهِ وَالتَّفَقُّهِ.

فَأَجَلِ النَّظَرَ عِنْدَ الْوَارِدَاتِ بِتَخْرِيجِ الْفُرُوعِ عَلَى الْأُصُولِ، وَتَمَامِ
الْعِنَايَةِ بِالْقَوَاعِدِ وَالضُّوَابِطِ. وَأَجْمِعْ لِلنَّظْرِ فِي فَرْعٍ مَا بَيْنَ تَبَعِهِ وَإِفْرَاقِهِ فِي
قَالَِبِ الشَّرِيعَةِ الْعَامِّ مِنْ قَوَاعِدِهَا وَأُصُولِهَا الْمُطَّرِدَةِ. وَالتَّمُؤَلِّ فِي
مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، وَالتَّبَصُّرِ فِي مَا يَحُفُّ أَحْوَالَ الشَّرِيعِ.

فَإِنْ خَلَا فَهَمْكَ مِنْ هَذَا، أَوْ نَبَا سَمْعُكَ؛ فَإِنَّ وَقْتَكَ ضَائِعٌ، وَإِنْ اسْمَ الْجَهْلِ عَلَيْكَ لَوَاقِعٌ.

فالفقيه هو مَنْ تَعَرَّضَ لَهُ النَّازِلَةُ لَا نَصَّ فِيهَا فَيَقْتَبِسُ لَهَا حُكْمًا، وَالبَلاغِيُّ لَيْسَ مِنْ يَذْكُرُ لَكَ أَقْسَامَهَا وَتَفْرِيغَاتِهَا، لَكِنَّهُ مَنْ تَسْرِي بِصِيرَتِهِ البَلاغِيَّةَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَثَلًا، فَيُخْرِجُ مِنْ مَكْنُونِ عُلُومِهِ وَجُوهَهَا وَإِنْ كَتَبَ أَوْ حَطَبَ نَظَّمَ لَكَ عِقْدَهَا.

٣١- اللجوءُ إلى الله تعالى في الطلبِ والتحصيلِ:

لَا تَفْرَغْ إِذَا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ فِي عِلْمٍ مِنَ العُلُومِ؛ فَقَدْ تَعَاصَتْ بَعْضُ العُلُومِ عَلَى بَعْضِ الأَعْلَامِ المَشَاهِيرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَرَّحَ بِذَلِكَ كَمَا يُعْلَمُ مِنْ تَرَاجِمِهِمْ.

فِي أَيُّهَا الطَّالِبُ! ضَاعِفِ الرَّغْبَةَ، وَأفْزِعْ إِلَى اللَّهِ فِي الدَّعَاءِ وَاللَّجْوَاءِ إِلَيْهِ وَالأِنْكَسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

٣٢- الأمانةُ العِلْمِيَّةُ:

يَجِبُ عَلَى طَالِبِ العِلْمِ، فَائِقُ التَّحَلِّيِ بِالأَمَانَةِ العِلْمِيَّةِ، فِي الطَّلَبِ وَالتَّحْمُلِ وَالعَمَلِ وَالبَلاغِ، وَالأَدَاءِ.

مَنْ تَحَدَّثَ فِي العِلْمِ بِغَيْرِ أَمَانَةٍ؛ فَقَدْ مَسَّ العِلْمَ بِقُرْحَةٍ وَوَضَعَ فِي سَبِيلِ فَلاحِ الأُمَّةِ حَجَرَ عَثْرَةٍ.

٣٣- الصَّدُقُ:

صِدْقُ اللَّهْجَةِ: عُنْوَانُ الْوَقَارِ وَشَرَفِ النَّفْسِ، وَنَقَاءِ السَّرِيرَةِ وَسُمُوِّ
 الْهِمَّةِ وَرُجْحَانِ الْعَقْلِ، وَرَسُولِ الْمَوَدَّةِ مِنَ الْخَلْقِ، وَسَعَادَةِ الْجَمَاعَةِ
 وَصِيَانَةِ الدِّيَانَةِ، وَلِهَذَا كَانَ فَرُضُ عَيْنٍ، فَيَاخِيئَةً مَنْ فَرَطَ فِيهِ، وَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ
 مَسَّ نَفْسَهُ وَعِلْمَهُ بِأَدَى. وَالصَّدْقُ: إِلقاءُ الْكَلَامِ عَلَى وَجْهِ مُطَابِقٍ لِلْوَاقِعِ
 وَالْإِعْتِقَادِ.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَعَلَّمَ الصَّدْقَ قَبْلَ أَنْ تَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ» .
 وَقَالَ وَكَيْعٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هَذِهِ الصَّنْعَةُ لَا يَرْتَفِعُ فِيهَا إِلَّا صَادِقٌ» .
 وَالْكَذِبُ ثَلَاثَةٌ أَلْوَانُ:

- ١- كَذِبُ الْمُتَمَلِّقِ: وَهُوَ مَا يُخَالِفُ الْوَاقِعَ وَالْإِعْتِقَادَ، كَمَنْ يَتَمَلَّقُ لِمَنْ
 يَعْرِفُهُ فَاسِقًا أَوْ مُبْتَدِعًا فَيَصِفُهُ بِالِاسْتِقَامَةِ .
- ٢- وَكَذِبُ الْمُنَافِقِ: وَهُوَ مَا يُخَالِفُ الْإِعْتِقَادَ وَيُطَابِقُ الْوَاقِعَ كَالْمُنَافِقِ
 يَنْطِقُ بِمَا يَقُولُهُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْهَدَايَةِ .
- ٣- وَكَذِبُ الْعَمِيِّ: بِمَا يُخَالِفُ الْوَاقِعَ وَيُطَابِقُ الْإِعْتِقَادَ، كَمَنْ يَعْتَقِدُ
 صِلَاحَ صُوفِيٍّ مُبْتَدِعٍ فَيَصِفُهُ بِالْوَلَايَةِ .
 فَالزُّمُ الْجَادَّةُ «الصَّدْقُ»، فَلَا تَضْغَطُ عَلَى عَكْدِ اللِّسَانِ، وَلَا تَضْمَمُ
 شَفَتَيْكَ، وَلَا تَفْتَحُ فَافًا نَاطِقًا إِلَّا عَلَى حُرُوفٍ تُعَبِّرُ عَنِ إِحْسَاسِكَ الصَّادِقِ
 فِي الْبَاطِنِ ؛ أَوْ إِحْسَاسِكَ فِي الظَّاهِرِ .
 فَالصَّادِقُ لَا يَقُولُ: «أَحْبَبْتُكَ» وَهُوَ مُبْغِضٌ، وَهَكَذَا .

ولا تفتَحْ لنفسِكَ المعارِضِ في غيرِ ما حَصَرَ الشُّرْعُ .
 ومَنْ تَطَّلَعَ إلى سُمْعَةٍ فوقَ مَنْزِلَتِهِ؛ فليَعْلَمْ [أنه قد] تُعْرَى عن ثلاثَةٍ
 معانٍ:

١ - فَقَدْ الثَّقَةِ مِنَ الْقُلُوبِ .

٢ - ذَهَابُ عِلْمِكَ وَاِنْحِسَارُ الْقَبُولِ .

٣ - أَنْ لَا تُصَدِّقَ وَلَوْ صَدَّقَتْ .

٣٤ - جُنَّةُ طَالِبِ الْعِلْمِ :

جُنَّةُ الْعَالِمِ «لَا أُدْرِي» وَيَهْتِكُ حِجَابَهُ الْاِسْتِنكَافُ مِنْهَا، وَقَوْلُهُ: يُقَالُ

...

وعليه؛ فإن كان نِصْفُ الْعِلْمِ «لَا أُدْرِي»؛ فَيَنْصِفُ الْجَهْلُ «يُقَالُ»

و«أُظُنُّ».

٣٥ - الْمَحَافِظَةُ عَلَى رَأْسِ مَا لِكَ «سَاعَاتِ عُمُرِكَ» :

الوقتَ الوقتَ لِلتَّحْصِيلِ، فَكُنْ حِلْفَ عَمَلٍ لَا حِلْفَ بَطَالَةٍ وَبَطْرٍ،
 وَحِلْسَ مَعْمَلٍ لَا حِلْسَ تَلَّةٍ وَسَمَرٍ، فَالْحِفْظُ عَلَى الْوَقْتِ؛ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ
 وَمُلَازِمَةِ الطَّلَبِ، وَمُثَافَنَةِ الْأَشْيَاخِ، وَالِاشْتِغَالِ بِالْعِلْمِ قِرَاءَةً وَإِقْرَاءً وَمُطَالَعَةً
 وَتَدَبُّرًا وَحِفْظًا وَبَحْثًا، لِاسِيَّامَا فِي أَوْقَاتِ شُرْحِ الشَّبَابِ، فَإِنَّهَا «وَقْتُ جَمْعِ
 الْقَلْبِ، وَاجْتِمَاعِ الْفِكْرِ»؛ لِقَلَّةِ الشَّوَاغِلِ وَالصَّوَارِفِ عَنِ التَّزَامَاتِ الْحَيَاةِ

والتَّروُّسِ، وَلِخِفَّةِ الظَّهْرِ وَالْعِيَالِ، فَاغْتَنِمْ هَذِهِ الْفُرْصَةَ الْغَالِيَةَ، لِتَنَالَ رُتَبَ الْعِلْمِ الْعَالِيَةِ.

فَإِنْ أَعْمَلْتَ الْبِدَارَ فَهَذَا شَاهِدٌ مِنْكَ عَلَى أَنْكَ تَحْمِلُ «كَبِيرَ الْهَمَّةِ فِي الْعِلْمِ».

٣٦- إجمامُ النفسِ :

خُذْ مِنْ وَقْتِكَ سُوِيَعَاتٍ تُجِمْ بِهَا نَفْسَكَ فِي رِيَاضِ الْعِلْمِ مِنْ كُتُبِ الْمَحَاضِرَاتِ «الثَّقَافَةِ الْعَامَّةِ»؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ يُرَوِّحُ عَنْهَا سَاعَةً فَسَاعَةً.
عَنْ عَلِيِّ ؓ أَنَّهُ قَالَ: «أَجْمُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ، وَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ، فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ» .

«ولهذا قال مُعَاذٌ: إِنِّي لِأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي، كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي ...»

ولهذا كانت العُطْلُ الْأَسْبُوعِيَّةُ لِلطُّلَّابِ مُتَشِرَّةً مِنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ.

٣٧- قِراءَةُ التَّصْحِيحِ وَالضَّبْطِ :

اخْرِضْ عَلَى قِراءَةِ التَّصْحِيحِ وَالضَّبْطِ عَلَى شَيْخٍ مُتَّقِنٍ؛ لِتَأْمَنَ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّصْحِيفِ وَالغَلْطِ وَالوَهْمِ. وَإِذَا اسْتَفْرَأْتَ تَرَاجِمَ الْعُلَمَاءِ - وَبِخَاصَّةِ الْخُفَاطِ مِنْهُمْ - تَجِدُ عَدَدًا غَيْرَ قَلِيلٍ مِنْ جَرْدِ الْمَطْوَلَاتِ فِي مَجَالِسٍ أَوْ أَيَّامٍ قِراءَةَ ضَبْطِ عَلَى شَيْخٍ مُتَّقِنٍ. فَلَا تَنْسَ حَظَّكَ مِنْ هَذَا .

٣٨- جَرْدُ الْمَطْوَلَاتِ :

الْجَرْدُ لِلْمَطَوَّلَاتِ مِنْ أَهَمِّ الْمُهَيَّمَاتِ؛ لِتَعَدُّدِ الْمَعَارِفِ، وَتَوْسِيعِ الْمَدَارِكِ وَاسْتِخْرَاجِ مَكْنُونِهَا مِنَ الْفَوَائِدِ وَالْفَرَائِدِ، وَالخَبْرَةِ فِي مَطَانِّ الْأَبْحَاثِ وَالْمَسَائِلِ، وَمَعْرِفَةِ طَرَائِقِ الْمُصَيِّقِينَ فِي تَأْلِيْفِهِمْ وَاصْطِلَاحِهِمْ فِيهَا.

٣٩- حُسْنُ السُّؤَالِ:

التَّزِمُ أَدَبَ الْمُبَاحَثَةِ، مِنْ حُسْنِ السُّؤَالِ، فَالِاسْتِمَاعِ، فَصِحَّةِ الْفَهْمِ لِلْجَوَابِ، وَإِيَّاكَ إِذَا حَصَلَ الْجَوَابُ أَنْ تَقُولَ: لَكِنَّ الشَّيْخَ فَلَانًا قَالَ لِي كَذَا، أَوْ قَالَ كَذَا، فَإِنَّ هَذَا وَهَنْ فِي الْأَدَبِ، وَضَرْبٌ لِأَهْلِ الْعِلْمِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، فَاحْذَرْ هَذَا .

وإن كنت لا بُدَّ فاعلاً، فكن واضحاً في السؤال، وقلما رأيك في الفتوى بكذا، ولا تُسمَّ أحدًا .

قال ابن القيم رحمته الله: «وللعلم ست مراتب:

أولها: حسن السؤال .

الثانية: حسن الإنصات والاستماع .

الثالثة: حسن الفهم .

الرابعة: الحفظ .

الخامسة: التعليم .

السادسة: وهي تَمَرُّتُهُ؛ الْعَمَلُ بِهِ وَمُرَاعَاةُ حُدُودِهِ» اهـ .

٤٠ - الْمُنَاطِرَةُ بِلا مُمَارَاةٍ

إِيَّاكَ وَالْمُمَارَاةَ ؛ فَإِنَّهَا نِقْمَةٌ، أَمَّا الْمُنَاطِرَةُ فِي الْحَقِّ؛ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ إِذِ الْمُنَاطِرَةُ الْحَقَّةُ فِيهَا إِظْهَارُ الْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ، وَالرَّاجِحِ عَلَى الْمَرْجُوحِ، فَهِيَ مَبْيِّنَةٌ عَلَى الْمُنَاصِحَةِ وَالْحِلْمِ، وَنَشْرِ الْعِلْمِ، أَمَّا الْمُمَارَاةُ فِي الْمَحَاوِرَاتِ وَالْمُنَاطِرَاتِ ؛ فَإِنَّهَا تَحْجُجُ وَرِيَاءً، وَلَعَطُ وَكِبْرِيَاءً وَمُغَالَبَةً وَمِرَاءً، وَاخْتِيَالًا وَشَحْنَاءً، وَمُجَارَاةً لِلسَّفَهَاءِ، فَاحْذَرُهَا وَاحْذَرُ فَاعِلَهَا؛ تَسَلَّمَ مِنْ الْمَائِمِ وَهَتَكَ الْمَحَارِمِ، وَأَعْرِضْ تَسَلَّمَ وَتَكَبَّتِ الْمَائِمُ وَالْمَعْرَمُ.

٤١ - مُذَاكِرَةُ الْعِلْمِ

تَمَتَّعَ مَعَ الْبُصْرَاءِ بِالْمُذَاكِرَةِ وَالْمُطَارَحَةِ ؛ فَإِنَّهَا فِي مَوَاطِنَ تَفَوْقِ الْمُطَالَعَةِ وَتَشْحَذُ الذِّهْنَ وَتُقَوِّي الذَّاكِرَةَ؛ مُلْتَزِمًا الْإِنْصَافَ وَالْمَلَاطِفَةَ مُبْتَدِعًا عَنِ الْحَيْفِ وَالشَّغْبِ وَالْمَجَازَفَةِ. وَقَدْ قِيلَ : إِحْيَاءُ الْعِلْمِ مُذَاكِرَتُهُ .

٤٢ - طَالِبُ الْعِلْمِ يَعْيشُ بَيْنَ الْكُتَابِ وَالسُّنَنِ وَعِلْمِهَا :

فَهَمَا لَهُ كَالْجَنَاحِينَ لِلطَّائِرِ، فَاحْذَرُ أَنْ تَكُونَ مَهِيضَ الْجَنَاحِ .

٤٣ - اسْتِكْمَالُ أَدْوَاتِ كُلِّ فَنٍّ :

لَنْ تَكُونَ طَالِبَ عِلْمٍ مُتَّفِعِنًا مُتَّفِعِنًا -حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ- مَا لَمْ تَسْتَكْمِلْ أَدْوَاتِ ذَلِكَ الْفَنِّ، فَفِي الْفَقْهِ بَيْنَ الْفَقْهِ وَأَصُولِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ بَيْنَ عِلْمِي الرَّوَايَةِ وَاللِّدْرَايَةِ وَهَكَذَا، وَإِلَّا فَلَا تَتَعَنَّ .



الفصلُ السَّادِسُ
التَّحَلِّيُّ بِالْعَمَلِ

٤٤- من علاماتِ العِلْمِ النافعِ :

تَسَاءَلُ مع نَفْسِكَ عن حَظِّكَ من عَلاماتِ العِلْمِ النافعِ، وهي:

- ١- العَمَلُ به .
 - ٢- كراهيةُ التزكيةِ والمدحِ والتكبيرِ على الخَلْقِ .
 - ٣- تكاثرُ تواضِعِكَ كُلِّمَا اَزْدَدْتَ عِلْمًا .
 - ٤- الهَرَبُ من حُبِّ التَرَوُّسِ والشُّهرةِ والدنيا .
 - ٥- هَجْرُ دَعْوَى العِلْمِ .
 - ٦- إِساءةُ الظنِّ بالنَفْسِ، وإِحسانُهُ بالناسِ ؛ تَنَزُّهاً عن الوُقوعِ بهم .
- ٤٥- زكاةُ العِلْمِ :

أَدِّ «زكاةَ العِلْمِ»: صادعًا بالحقِّ، أَمَّارًا بالمعروفِ، نَهَاءً عن المُنكَرِ، مُوازِنًا بينَ المَصالِحِ والمَضارِّ، ناشِرًا للعِلْمِ، وحبِّ النِّعِ وَيَذلِّ الجاهِ، والشِّفاعَةَ الحَسَنَةَ للمسلمينَ في نوائِبِ الحَقِّ والمعروفِ. ومنها قولُه ﷺ: «إِذَا مَاتَ الإِنسانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا...». فاحْرِضْ على هذه الحِلْيَةِ ؛ فهي

رَأْسُ ثَمَرَةِ عِلْمِكَ. وَلشَرَفِ الْعِلْمِ ؛ فَإِنَّهُ يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ، وَيَنْقُصُ مَعَ الْإِسْفَاقِ، وَأَفْتُهُ الْكِتْمَانُ .

وَلَا تَحْمِلْكَ دَعْوَى فَسَادِ الزَّمَانِ، عَنِ وَاجِبِ الْأَدَاءِ وَالْبَلَاحِ.

٤٦ - عِزَّةُ الْعُلَمَاءِ

التَّحَلِّي بِ «عِزَّةِ الْعُلَمَاءِ»: صِيَانَةُ الْعِلْمِ وَتَعْظِيمُهُ، وَحِمَايَةُ جَنَابِ عِزِّهِ وَشَرَفِهِ وَبِقَدْرِ مَا تَبَدَّلُهُ فِي هَذَا يَكُونُ الْكَسْبُ مِنْهُ وَمِنَ الْعَمَلِ بِهِ، وَبِقَدْرِ مَا تُهْدِرُهُ يَكُونُ الْفَوْتُ. وَعَلَيْهِ ؛ فَاحْذَرُ أَنْ يَتَمَنَّدَلَ بِكَ الْكِبْرَاءُ، أَوْ يَمْتَطِيكَ السَّفَهَاءُ.

وَلَا تَسْعَ بِهِ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا، وَلَا تَقِفْ بِهِ عَلَى أَعْتَابِهِمْ، وَلَا تَبْدُلْهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ وَإِنْ عَظُمَ قَدْرُهُ. وَمَتَّعْ بَصْرَكَ وَبَصِيرَتَكَ بِقِرَاءَةِ التَّرَاجِمِ وَالسِّيَرِ لِأَثْمَةِ مَضْوَا، تَرَفِيهَا بَدَلَ النَّفْسِ فِي سَبِيلِ هَذِهِ الْحِمَايَةِ لَا سِيَّمَا مَنْ جَمَعَ مُثْلًا فِي هَذَا.

٤٧ - صِيَانَةُ الْعِلْمِ

إِنْ بَلَغْتَ مَنُصِبًا فَتَذَكَّرْ أَنَّ حَبْلَ الْوَصْلِ إِلَيْهِ طَلَبُكَ لِلْعِلْمِ، فَبَفَضْلِ اللَّهِ ثُمَّ بِسَبَبِ عِلْمِكَ بَلَغْتَ مَا بَلَغْتَ... فَأَعْطِ الْعِلْمَ قَدْرَهُ وَحِظْهُ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ وَإِنْزَالَهُ مَنْرَلَتَهُ . وَاحْذَرُ مَسَلِّكَ مَنْ لَا يَزُجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْأَسَاسَ «حِفْظَ الْمَنُصِبِ».

٤٨ - الْمُدَارَاةُ لَا الْمُدَاهَنَةُ :

المُداهنةُ خُلِقَ مُنْحَطًّا، أَمَّا المُدَارَاةُ فلا، لكن لا تَخْلُطُ بَيْنَهُمَا فَتَحْمِلَكَ

المداهنةُ إلى حَضَارِ النِّفَاقِ مُجَاهِرَةً، وَالمُداهنةُ هي التي تَمُشُّ دِينَكَ .

٤٩ - العَرَامُ بِالكُتُبِ:

شَرَفَ العِلْمِ معلومٌ لعمومِ نفعِهِ، وَشِدَّةُ الحَاجَةِ إليه كحَاجَةِ البَدَنِ إلى الأَنْفَاسِ، وَظُهُورُ النَقْصِ بِقَدْرِ نَقْصِهِ، وَحُصُولُ اللذَةِ وَالسُّرُورِ بِقَدْرِ تحصيلِهِ، وَلهذا اسْتَدَّ عَرَامُ الطُّلَابِ بِالطَّلَبِ، وَالعَرَامُ بِجَمْعِ الكُتُبِ مع الانتقاءِ، وَهَمَّ أَخْبَارٌ فِي هَذَا تَطَوَّلَ. وَعَلَيْهِ، فَأَحْرَزَ الأَصُولَ مِنَ الكُتُبِ، وَاعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُعْنِي مِنْهَا كِتَابٌ عَن كِتَابٍ وَلَا تَحْشُرُ مَكْتَبَتَكَ وَتُشَوِّشُ عَلَيَّ فِكْرِكَ بِالكُتُبِ العُنَائِيَّةِ، لَا سِيَّمَا كُتُبَ المَبْتَدِعَةِ.

٥٠ - قِوَامُ مَكْتَبَتِكَ:

عَلَيْكَ بِالكُتُبِ المَنْسُوجَةِ عَلَى طَرِيقَةِ الاستِدْلالِ، وَالتَّفَقُّهِ فِي عِلَلِ الأحْكامِ، وَالعَوَاصِرِ عَلَى أسْرَارِ المسائِلِ، وَمَنْ أَجَلَّهَا كُتُبُ الشَّيْخِينَ شَيْخِ الإسلامِ وَتَلْمِيذِهِ.

٥١ - التَّعَامُلُ مَعَ الكِتَابِ :

لَا تَسْتَفِدْ مِنْ كِتَابٍ حَتَّى تَعْرِفَ اصْطِلَاحَ مُؤَلِّفِهِ فِيهِ، وَكَثِيرًا مَا تَكُونُ المُقَدِّمَةُ كَاشِفَةً عَن ذَلِكَ، فابْدَأْ مِنَ الكِتَابِ بِقِراءَةِ مُقَدِّمَتِهِ .

٥٢ - وَمِنْهُ :

إذا حُرِّتَ كِتَابًا ؛ فلا تُدْخِلْهُ فِي مَكْتَبِكَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَمَرَّ عَلَيْهِ جَزْدًا أَوْ قِرَاءَةً لِمُقَدِّمَتِهِ، وَفَهْرِسِهِ، وَمَوَاضِعَ مِنْهُ، أَمَّا إِنْ جَعَلْتَهُ مَعَ فَيْهِ فِي الْمَكْتَبَةِ ؛ فَرُبَّمَا مَرَّ زَمَانٌ وَفَاتَ الْعُمُرُ دُونَ النَّظْرِ فِيهِ، وَهَذَا مُجَرَّبٌ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ .

٥٣- إِعْجَامُ الْكِتَابَةِ :

إِذَا كَتَبْتَ فَأَعْجِمِ الْكِتَابَةَ بِإِزَالَةِ عَجْمَتِهَا، وَذَلِكَ بِأَمُورٍ :

- ١- وَضُوحُ الْخَطِّ.
 - ٢- رَسْمُهُ عَلَى ضَوْءِ قَوَاعِدِ الرَّسْمِ «الإِمْلاءِ». وَفِي هَذَا مَوْأَفَاتٌ كَثِيرَةٌ.
 - ٣- النَّقْطُ لِلْمُعْجَمِ وَالْإِهْمَالُ لِلْمُهْمَلِ .
 - ٤- الشُّكْلُ لِمَا يُشْكِلُ .
 - ٥- تَبَيُّتُ عِلَامَاتِ التَّرْقِيمِ فِي غَيْرِ آيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ .
- ٥٤- حِلْمُ الْيَقِظَةِ :

إِيَّاكَ وَ«حِلْمُ الْيَقِظَةِ»، وَمِنْهُ بَأَنَّ تَدْعِي الْعِلْمَ لِمَا لَمْ تَعْلَمْ، أَوْ إِتْقَانَ مَا لَمْ تُتَقِّنْ، فَإِنْ فَعَلْتَ؛ فَهُوَ حِجَابٌ كَثِيفٌ عَنِ الْعِلْمِ.

٥٥- أَحْدَرُ أَنْ تَكُونَ «أَبَا شَيْبَرٍ» :

فَقَدْ قِيلَ: الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ أَشْبَارٍ، مَنْ دَخَلَ فِي الشَّيْبَرِ الْأَوَّلِ؛ تَكَبَّرَ؛ وَمَنْ دَخَلَ فِي الشَّيْبَرِ الثَّانِي تَوَاضَعَ، وَمَنْ دَخَلَ فِي الشَّيْبَرِ الثَّلَاثِ ؛ عَلِمَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ .

٥٦- التَّصَدُّرُ قَبْلَ التَّأَهُّلِ :

احْذَرِ التَّصَدُّرَ قَبْلَ التَّأْهِلِ ؛ فَهُوَ آفَةٌ فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ
تَصَدَّرَ قَبْلَ أَوَانِهِ ؛ فَقَدْ تَصَدَّى لِهَوَانِهِ .

٥٧- التَّنَمُّرُ بِالْعِلْمِ :

احْذَرِ مَا يَسَّالِي بِهِ الْمُفَلِّسُونَ مِنَ الْعِلْمِ، يُرَاجِعُ مَسْأَلَةً أَوْ مَسْأَلَتَيْنِ، فَإِذَا
كَانَ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِ؛ أَثَارَ الْبَحْثَ فِيهِمَا ؛ لِيُظْهِرَ عِلْمَهُ، وَكَمْ
فِي هَذَا مِنْ سَوَاءٍ، أَقْلُهَا أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ حَقِيقَتَهُ.

٥٨- تَحْيِيرُ الْكَاعْدِ:

كَمَا يَكُونُ الْحَذَرُ مِنَ التَّأْلِيفِ الْخَالِيِّ مِنَ الْإِبْدَاعِ فِي مَقَاصِدِ التَّأْلِيفِ
الْثَمَانِيَةِ، وَالَّذِي نَهَايَتُهُ «تَحْيِيرُ الْكَاعْدِ» فَالْحَذَرُ مِنَ الْإِشْتِغَالِ بِالتَّصْنِيفِ قَبْلَ
اسْتِكْمَالِ أَدْوَاتِهِ، وَاكْتِمَالِ أَهْلِيَّتِكَ، وَالنُّضُوجِ عَلَى يَدِ أَشْيَاخِكَ؛ فَإِنَّكَ
تُسَجَّلُ بِهِ عَارًا، وَتُبْدِي بِهِ سَنَارًا. وَلَا تَنْسَ: «مَنْ صَنَّفَ؛ فَقَدْ جَعَلَ عَقْلَهُ
عَلَى طَبَقٍ يَغْرِضُهُ عَلَى النَّاسِ» .

٥٩- مَوْفُوكَ مِنْ وَهْمٍ مَنْ سَبَقَكَ :

إِذَا ظَفِرْتَ بِوَهْمٍ لِعَالِمٍ ؛ فَلَا تَفْرَحْ بِهِ لِلْحَطِّ مِنْهُ، وَلَكِنْ افْرَحْ بِهِ
لِتَصْحِيحِ الْمَسْأَلَةِ فَقَطْ ؛ فَإِنَّ الْمُنْصَفَ يَكَادُ يَجْزِمُ بِأَنَّهُ مَا مِنْ إِمَامٍ إِلَّا وَلَهُ
أَغْلَاطٌ وَأَوْهَامٌ، لَا سِيَّمَا الْمُكْثِرِينَ مِنْهُمْ .

٦٠- دَفْعُ الشُّبُهَاتِ :

لا تَجْعَلْ قلبك كالسِّفْنَجَةِ تَتَلَقَّى ما يَرِدُ عليها فاجْتَنِبْ إثارة الشُّبْهِ وإيرادها على نفسك أو غيرك، فالشُّبْهُ خَطَافَةٌ والقلوبُ ضَعِيفَةٌ.
٦١- احذُر اللِّحْنَ :

ابْتَعِدْ عن اللِّحَنِ في اللفظِ والكُتُبِ؛ فَإِنَّ عَدَمَ اللِّحَنِ جَلالَةٌ وصفاءٌ ذوقٌ ووُقُوفٌ على مِلاحِ المعاني لسلامةِ المَباني.
وقد وَرَدَ عن جَماعَةٍ من السَّلَفِ أَنهم كانوا يَضْرِبُونَ أولادَهُم على اللِّحَنِ .

يقول [بعضهم]: «إِذا كَتَبَ لِحانًا، فَكَتَبَ عن اللِّحانِ لِحانًا آخَرَ؛ صارَ الحديثُ بالفارِسيَّةِ!». النحوُ يَيْسُطُ من لسانِ الأَلَكَنِ = والمرءُ تُكْرِمُهُ إِذا لم يَلْحَنِ

٦٢- الإِجهاضُ الفِكريُّ :

احذُر «الإِجهاضُ الفِكريُّ»؛ بإخراجِ الفِكرةِ قَبْلَ نُضُوجِها .

٦٣- الإِسرائِيليَّاتُ الجَدِيدةُ :

احذُر الإِسرائِيليَّاتِ الجَدِيدةَ في نَفْثاتِ المُستشرقين من يهودِ وَنَصارى؛ فهي أَشدُّ نِكايةً وأَعْظَمُ خَطَرًا من الإِسرائِيليَّاتِ القَدِيمةِ؛ فَإِنَّ هذِهِ قد وَضَحَ أمرُها ببيانِ النَّبِيِّ ﷺ الموقِفَ منها؛ ونُشِرَ العُلَماءِ القَوْلَ فيها، أمَّا الجَدِيدةُ المُتَسَرِّبَةُ إلى الفِكرِ الإِسلاميِّ؛ فهي شرٌّ مَحْضٌ وبلاءٌ

مَتَدَفَّقُ، وَقَدْ أَخَذَتْ بَعْضَ الْمُسْلِمِينَ عَنْهَا سِنَّةٌ، وَخَفَضَ الْجَنَاحَ لَهَا
آخَرُونَ فَاحْذَرُوا أَنْ تَقَعَ فِيهَا.

٦٤ - احْذَرُوا الْجَدَلَ الْبِيزَنْطِيَّ :

أَيُّ الْجَدَلِ الْعَقِيمِ أَوْ الضَّئِيلِ، فَقَدْ كَانَ الْبِيزَنْطِيُّونَ يَتَحَاوَرُونَ فِي
جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ وَالْعَدُوِّ عَلَى أَبْوَابِ بُلَدَتِهِمْ حَتَّى ذَاهَمَهُمْ. وَهَكَذَا الْجَدَلُ
الضَّئِيلُ يَضُدُّ عَنِ السَّبِيلِ. سَمِعَ الْحَسَنُ قَوْمًا يَتَجَادَلُونَ فَقَالَ: «هَؤُلَاءِ مَلُؤَا
الْعِبَادَةَ وَخَفَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ، وَقَلَّ وَرَعُهُمْ فَتَكَلَّمُوا» .

٦٥ - لَا طَائِفِيَّةَ وَلَا حَزْبِيَّةَ يَعْقِدُ الْوَلَاءَ وَالْبِرَاءَ عَلَيْهَا

أَهْلُ الْإِسْلَامِ لَيْسَ لَهُمْ سِمَةٌ سِوَى الْإِسْلَامِ وَالسَّلَامِ:

فِيَا طَالِبَ الْعِلْمِ! اطَّلُبِ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ وَادْعُ إِلَى اللَّهِ ﷻ عَلَى طَرِيقَةِ
السَّلَفِ.

فَاحْذَرُوا رَحِمَكَ اللَّهُ أَحْزَابًا وَطَوَائِفَ طَائِفُهَا وَنَجَمَ بِالشَّرِّ نَاجِمُهَا
فَمَا هِيَ إِلَّا كَالْمَيَازِبِ؛ تَجْمَعُ الْمَاءَ كَدْرًا، وَتُفْرِقُهُ هَدْرًا؛ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ
رَبُّكَ.

وَإِنَّ الْحَزْبِيَّةَ ذَاتَ الْمَسَارَاتِ وَالْقَوَالِبِ الْمُسْتَحْدَثَةِ الَّتِي لَمْ يَعْهَدْهَا
السَّلَفُ مِنْ أَعْظَمِ الْعَوَاتِقِ عَنِ الْعِلْمِ، وَالتَّفْرِيقِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، فَكَمْ أَوْهَنْتَ
حَبْلَ الْإِتِّحَادِ الْإِسْلَامِيِّ وَعَشَيْتَ الْمُسْلِمِينَ بِسَبَبِهَا الْغَوَاشِي .

ولا تَكُنْ خَرَّاجًا وَلَا جَا فِي الْجَمَاعَاتِ، فَتَخْرُجَ مِنَ السَّعَةِ إِلَى الْقَوَالِبِ الضَّيْقَةِ فَإِلَاسْلَامُ كُلِّهِ لِكَ جَادَّةً وَمُنْهَجًا وَالْمُسْلِمُونَ جَمِيعُهُمْ هُمُ الْجَمَاعَةُ وَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، فَلَا طَائِفِيَّةَ وَلَا حِزْبِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ .
وَأُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ نَهَابًا بَيْنَ الْفِرَقِ وَالطَّوَائِفِ وَالْمَذَاهِبِ الْبَاطِلَةِ وَالْأَحْزَابِ الْغَالِيَةِ، تَعْقُدُ سُلْطَانَ الْوَلَاءِ وَالْبِرَاءِ عَلَيْهَا.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رحمته الله: «وَلَمْ يُنْسَبُوا إِلَى اسْمٍ»، أَي: لَمْ يَشْتَهَرُوا بِاسْمٍ يُعْرَفُونَ بِهِ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي صَارَتْ أَعْلَامًا لِأَهْلِ الطَّرِيقِ». .
وَأَيْضًا؛ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَتَّقَيْدُوا بِعَمَلٍ وَاحِدٍ يُجْرَى عَلَيْهِمْ اسْمُهُ، فَيُعْرَفُونَ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ؛ فَإِنَّ هَذَا آفَةٌ فِي الْعُبُودِيَّةِ، وَهِيَ عُبُودِيَّةٌ مُقْتَدَةٌ.
وَأَمَّا الْعُبُودِيَّةُ الْمَطْلَقَةُ؛ فَلَا يُعْرَفُ صَاحِبُهَا بِاسْمٍ مُعَيَّنٍ مِنْ مَعَانِي أَسْمَائِهَا؛ فَإِنَّهُ مُجِيبٌ لِدَاعِيهَا عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهَا، فَلَهُ مَعَ كُلِّ أَهْلِ عُبُودِيَّةٍ نَصِيبٌ يَضْرِبُ مَعَهُمْ بِسْمِهِمْ؛ فَلَا يَتَّقَيْدُ بِرِسْمٍ وَلَا إِشَارَةٍ وَلَا اسْمٍ وَلَا بَزِيٍّ وَلَا طَرِيقٍ وَضَعِيٍّ اصْطِلَاحِيٍّ، بَلْ إِنْ سُئِلَ عَنْ شَيْخِهِ؟ قَالَ: الرَّسُولُ ﷺ. وَعَنْ طَرِيقِهِ؟ قَالَ: الْإِتْبَاعُ. وَعَنْ خِرْقَتِهِ؟ قَالَ: لِبَاسُ التَّقْوَى، وَعَنْ مَذْهَبِهِ؟ قَالَ: تَحْكِيمُ السُّنَّةِ. وَعَنْ مَقْصِدِهِ وَمَطْلَبِهِ؟ قَالَ: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. وَعَنْ رِبَاطِهِ وَعَنْ خَانِكَاهُ؟ قَالَ: ﴿فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ

عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ﴿١﴾، وعن نَسَبِهِ؟ قَالَ: أَبِي الْإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ* إِذَا افْتَحَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمٍ.

ثم قال: «... وهؤلاء؛ لَمَّا كانوا مَسْثُورِينَ عن النَّاسِ بِأسبابِهِمْ، غيرِ مُشارٍ إليهِمْ، ولا مُتَمَيِّزِينَ بِرِئْسِمِ دُونَ النَّاسِ، ولا مُتَسَيِّئِينَ إلى اسمِ طريقٍ أو مَذْهَبٍ أو شيخٍ أو زِيٍّ؛ كانوا بِمَنْزِلَةِ الذَّخَائِرِ المخبوءةِ، وهؤلاءِ أَبْعَدُ الخَلْقِ عن الآفَاتِ؛ فَإِنَّ الآفَاتِ كُلَّهَا تَحْتَ الرسومِ والتَّقْيِيدِ بِهَا، ولزومِ الطَّرِيقِ الاصطلاحِيَّةِ والأوضاعِ المتداولَةِ الحَادِثَةِ.

هذه هي التي قَطَعَتْ أَكْثَرَ الخَلْقِ عن الله وهم لا يَشْعُرُونَ .

والعَجَبُ أَنَّ أَهْلَهَا هم المَعْرُوفُونَ بالطلبِ والإرادةِ، والسَّيْرُ إلى الله وهم -إلا الواحدَ بعدَ الواحدِ- المَقْطُوعُونَ عن الله بتلك الرسومِ والقِيُودِ .
وقد سُئِلَ بعضُ الأئِمَّةِ عن السُّنَّةِ؟ فقالَ: ما لا اسمَ له سِوَى «السُّنَّةِ».

٦٦ - نَوَاقِضُ هذه الحَلِيَّةِ

يا أخي -وَقانا اللهُ وإيَّاكَ العِشْرَاتِ- إن كنتَ قَرَأْتَ مَثَلًا من «حَلِيَّةِ طالبِ العِلْمِ» وآدابهِ وَعَلِمْتَ بعضًا من نَوَاقِضِها؛ فاعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ خَوَارِمِها المُفْسِدَةَ لِنِظامِ عِقْدِها:

١ - إِفْشاءُ السِّرِّ .

٢ - وَتَقَلُّ الكَلَامِ من قومٍ إلى آخَرِينَ .

٣ - وَالصَّلَفُ واللِسانَةُ .

- ٤- وكثرة المزاح .
 ٥- والدخول في حديثٍ بين اثنين .
 ٦- والحدِّث .
 ٧- والحسد .
 ٨- وسوء الظنِّ .
 ٩- ومجالسة المبتدعة .
 ١٠- ونقل الخطي إلى المحارم .

فاحذِرْ هذه الآثامَ وأخواتها واقضِرْ خُطَاكَ عن جميعِ المُحرِّماتِ
 والمَحارِمِ فإن فعلتَ وإلا فاعلَمْ أنك رَقِيقُ الدِّيانَةِ خَفِيفٌ لَعَابٌ مُعْتَابٌ
 نَمَامٌ فَأَنْتَى لَكَ أَنْ تَكُونَ طَالِبَ عِلْمٍ، يُشارُ إِلَيْكَ بالبنانِ، مُنْعَمًا بِالْعِلْمِ
 والعملِ .

سَدَّدَ اللهُ الخُطَى، وَمَنَعَ الجَمِيعَ التَّقْوَى وحُسْنَ العاقِبَةِ في الآخِرَةِ
 والأوَّلَى .

وَصَلَّى اللهُ على نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم .

بكر بن عبد الله أبو زيد

١٤٠٨/١٠/٢٥ هـ